مدوّنة تعنى بنشر الكتابات التخصصية لبراعة الحوزة العلمية الشريفة

خزّان علم الله في الأرض والسماء

تقرير بعض طلبة العلم لبحث

سماحة الشيخ أحمد الماحوزي

من الكمالات الوجودية المذكورة لأهل البيت - عليهم السلام - في "الزيارة الجامعة" وغيرها، أنهم: خزنة لعلمه، وخزّان العلم.

وكونهم كذلك ممّا تواترت به الروايات، نكتفي بذكر جملة منها:

١- حسنة سورة، قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): "والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضه، لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمه"[١].

٢- صحيحة أبي حمزة، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه واله): قال الله (تبارك وتعالى): "استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك، من ترك ولاية علي والأوصياء من بعدك، فإن فيهم سنتك وسنّة الأنبياء من قبلك، وهم خزّاني على علمي من بعدك"[٢]

٣- صحيحة ابن أبي يعفور، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): "يا ابن ابي يعفور، إن الله واحد متوحد بالوحدانية، متفرد بأمره، فخلق خلقاً فقدرهم لذلك الأمر، فنحن هم يا ابن ابي يعفور فنحن حجج الله في عباده، وخزانه على علمه، والقائمون بذلك"[٣].

٤- معتبرة سدير الصيرفي، قال للصادق (عليه السلام): جعلت فداك ما أنتم؟

قال: "نحن خزّان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض"[٤].

---

١ - الكافي: ١٩٢/١ * بصائر الدرجات: ١٢٤

٢ - الكافي: ١٩٣/١ * بصائر الدرجات: ٧٤ ، ١٢٥

٣ - الكافي: ١٩٣/١ * بصائر الدرجات: ٨١ ، ١٢٤

٤ - الكافي: ٢٦٩/١ * بصائرالدرجات: ١٢٤ * رجال الكشي: ١٩٧/ ذكر الذهبي سديرا في الميزان فقال: "بن حكيم الصيرفي الكوفي صالح الحديث وقال الجوزجاني مذموم المذهب، وعن يحيى ثقة، وعن ابن عيينة كان يكذب، وقال العقيلي كان ممن يغلو في الرفض، وقال الدارقطني متروك، وقال النسائي ليس بثقة، قال البخاري سمع أبا جعفر - عليه السلام"

٥- مصححة أبي بصير عن الصادق (عليه السلام)، أنه قال: "يا أبا بصير، نحن شجرة العلم، ونحن أهل بيت النبي (صلَّى الله عليه وآله، وفي دارنا مهبط جبرئيل، ونحن خزّان علم الله، ونحن معادن وحي الله، من تبعنا نجا ومن تخلف عنّا هلك، حقاً على الله (عز وجل)"[١].

٦- حسنة سورة بن كليب الأخرى عن أبي عبدالله (عليه السلام)، في قول الله تبارك وتعالى (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ)[٢].

قال: "ياسورة، هما والله - ثلاثا - والله ياسورة؛ إنّا لخزّان علم الله في السماء، وإنّا لخزان علم الله في الأرض"[٣].

٧- معتبرة الحسين بن علوان، عن همام بن الحرث، عن وهب بن منبّه، قال: "إن موسى (عليه السلام) نظر ليلة الخطاب إلى كل شجرة في الطور وكل حجر ونبات تنطق بذكر محمد (صَّلى الله عليه وآله) واثني عشر وصياً له من بعده، فقال موسى: إلهي! لا أرى شيئاً خلقته إلا وهو ناطق بذكر محمد وأوصيائه الاثني عشر (عليهم السلام) فما منزلة هؤلاء عندك؟ قال: يا ابن عمران، إني خلقتهم قبل خلق الأنوار، وجعلتهم في خزانة قدسي، يرتعون في رياض مشيئتي ويتنسمون روح جبروتي، ويشاهدون أقطار ملكوتي حتى إذا شاءت مشيئتي، أنفذت قضائي وقدري.. يا ابن عمران، تمسك بذكرهم فإنهم خزنة علمي وعيبة حكمتي ومعدن نوري.

---

١ - أمالي الصدوق: ٣٨٣ مجلس ٥٠ حديث ١٥

٢ - سورة فصلت: ٢٩

٣ - الكافي: ج٨/٣٣٤

قال الحسين بن علوان: فذكرت ذلك لجعفر بن محمد (عليه السلام) فقال: "حق ذلك، هم اثني عشر من آل محمد (عليهم السلام) علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي، ومن شاء الله.

قلت: جعلت فداك، إنما أسألك لتفتيني بالحق.

قال: أنا وابني هذا - وأومأ الى ابنه موسى - والخامس من ولده يغيب شخصه ولا يحل ذكره باسمه"[1].

والروايات بذلك كثيرة، وما في الأدعية والزيارات كافٍ لاستحصال وإثبات الاستفاضة، وبمجموعها تصل هذه الأحاديث إلى مستوى التواتر اللفظي، بعد الفراغ عن التواتر المعنوي والاجمالي[2]، إذ الأحاديث في علم الإمام (عليه السلام) وسعته وكميته ونوعيته تفوق حد الإحصاء.

---

[1] - مقتضب الاثر: ٤١ ، وعنه البحار: ج١٤٩/٥١

[2] - المتواتر: هو الحديث الذي روي بطرق كثيرة ومتعددة تحيل العادة بتواطىء رواته على الكذب.

وقُسم الى: لفظي ومعنوي وإجمالي، فالأول بأن تكون ألفاظ الحديث الوارد بأسانيد متعددة واحدة، كقوله (صلّى الله عليه وآله)" "من كنت مولاه فعلي مولاه"؛ فإنه من الأحاديث المتواترة لفظاً، والثاني بأن تكون الألفاظ مختلفة والمعنى واحد، كالأخبار عن شجاعة علي (عليه السلام) فإنه من الأمور المسلمة والمتواترة بين المسلمين والأخبار عن ذلك بألفاظ متعدد وحوادث متكثرة، والثالث هو القطع بصدور أحد الأحاديث الموجودة في ضمن عدة من الأحاديث بلا تشخيص له على نحو الخصوص، ففي مقامنا يمكن القطع بصدور أحد الأحاديث المصرحة بأنهم (عليهم السلام) "ولاة أمر الله" من دون تعيينه على وجه الخصوص، وهذا النوع من التواتر من مبتكرات الآخوند الخرساني صاحب (كفاية الأصول) - قدس سره - وتابعه عليه من جاء بعده من الأعلام والاساطين.

وأما الأحاديث المصرحة بكونهم (عليهم السلام): "خزانه في سمائه وأرضه" بلا إضافة ذلك إلى علمه، فهي مستفيضة سيأتي ذكر عدة منها عند ذكر القرينة الأولى على علمهم الإحاطي فانتظر.

تعريف العلم:

وقد وقع الخلاف بين الحكماء في أن العلم هل هو من سنخ الوجود أم من سنخ الماهية؟ وإذا كان من سنخ الماهية، فمن أي مقولة من المقولات؟ وهذا بحث مرتبط بنظرية المعرفة لا نريد أن نقحمه في المقام، وإنما نكتفي هنا بذكر تعريف العلم أوَّلا، وبيان قسميه بعد ذلك، فنقول:

العلم: هو حضور المعلوم لدى العالم، أو فقل: "حضورُ شيء لشيء".

وحضور الأشياء لدى العالم تارة بوجودها الخارجي، وأخرى بوجود صورة عنها، ومن ذلك يُعرف أن (العلم قسمان):

القسم الأول:

العلم الحصولي: وهو حضور صور الأشياء لدى ذهن الإنسان، كحضور صورة الجبل أو صورة السماء أو صورة الأرض وما شابه ذلك؛ وهذه الصور شيء ووجود، وما تحكي عنه شيء ووجود آخر، فالجبل الخارجي شيء وصورته الذهنية شيء آخر، والإحاطة بهذه الصورة وحضورها لدى الإنسان لا يستلزم الإحاطة بما تحكيه من أعيان خارجية تكوينية، ولهذه الصور طول وعرض وعمق، ولكنها مجردة عن المادة.

وهناك صور أخرى لا طول ولا عرض ولا عمق لها، يُعبّر عنها بالمفاهيم والصور العقلية، كالمفاهيم المنطقية، مثل مفهوم النوع والجنس والفصل والكلي والجزئي، أو المفاهيم التي لا وجود لها في الخارج العيني كالأعداد الرياضية والهندسية وما شابه ذلك[1].

فالعلم الحصولي هو حضور صور الأشياء لدى العالم والمُدرِك، فهو علم بالأشياء الخارجية عبر الصور والمفاهيم، فالمعلوم أولا - وبالذات - الصور الذهنية؛ وثانياً - وبالعرض – ما تحكيه هذه الصور من أعيان خارجية، كأن يقف الإنسان أمام مرآة فيرى ارتسام صور الأشياء.

فالذهن البشري بمثابة مرآة تنتقش فيها الصور، فالذي حضر لدى الإنسان هو الصور المرآتية دون ماتحكيه هذه الصور، لذا فالمعلوم بالذات هي الصور والمعلوم بالعرض وبالتبع هو الوجود الخارجي، ولذلك فإن هذا السنخ من العلم علم ناقص.

والسر في تسمية الصور الذهنية بالمعلوم بالذات، والأشياء الخارجية بالمعلوم بالعرض، هو اعتبار ما يحلّ ضيفاً لدى الذهن أولا وبالذات، فحيث أن الصور الذهنية هي التي تحل أولا وبالذات لدى الذهن البشري دون الوجود الخارجي، فسميت تلك الصور بالمعلوم بالذات.

القسم الثاني:

العلم الحضوري: وهو حضور الشيء بنفسه لدى العالم، لا مجرد صورة الشيء؛ وإليك عدة من الأمثلة لهذا السنخ من العلم.

١- الصور المنتقشة في الذهن: فإنها بما هي هي حاضرة بنفسها لدى الذهن والعالم فهي معلومة بالعلم الحضوري، وبما أنها حاكية ومرآة وطريق للخارج، فهي معلومة بالعلم

[1] - المفاهيم الحاصلة في العقل إما أن تكون مفاهيم ماهوية أو مفاهيم وجودية فلسفية، وانتزاع المفاهيم الماهوية يكون عبر التحليل والتقشير، بينما المفاهيم الوجودية يكون عبر المقارنة والقياس بين الوجودات.

الحصولي. فالصورة الذهنية من حيثية معينة علم حصولي ومن حيثية أخرى علم حضوري، يعني من حيث حكايتها عن الخارج علم حصولي، ومن حيث حضورها لدى الذهن - بعيداً عن حكايتها للخارج - علم حضوري، فتدبر.

٢- علم الإنسان بنفسه وذاته: فإن نفس الإنسان حاضرة لديه، لا بتوسط الصور، وإنما بذاتها وذاتياتها؛ فكل إنسان يعلم نفسه بنفسه لا بشيء آخر، فمعرفة الإنسان نفسه وذاته من سنخ العلم الحضوري.

٣- علم الإنسان بمشاعره النفسية: من ألم، وارتياح، وفرح، وحزن، وجوع، وعطش، وشبع، وارتواء، وما شابه ذلك. فالإنسان يعلم بأنه جائع أو شبع، لا بتوسط الصور والمفاهيم الذهنية والعقلية، وإنما بحضور الجوع والشبع لديه.

وهذا السنخ من العلم هو العلم الراقي والكامل، وهو العلم بحقيقة معنى الكلمة، إذ أن العلم الحصولي يشوبه الجهل ويعتريه الخطأ، وقد لا يكون مطابقاً للواقع، لأنه ليس بعلم بالواقع على ما هو عليه واقعاً وحقيقة، وإنما العلم بالواقع من خلال الصور والمفاهيم التي قد لا تكون - أي الصور والمفاهيم - مطابقة للواقع الخارجي، والإنسان يحسبها أنها مطابقة.

وذلك بخلاف العلم الحضوري، فإن نفس حقيقة الشيء - في هذا العلم - تحضر لدى الإنسان فلا مجال للخطأ والاشتباه، لذا لا يخطئ الإنسان في جوعه وعطشه وفرحه وحزنه، ومنشأ ذلك أن العطش والجوع والفرح والحزن حضر بنفسه وذاته لدى الإنسان، بلا توسط صورة أو مفهوم أو لفظ.

فالخلاصة: إن المعلوم إن كان بنفسه حاضراً لدى العالم ومنكشفاً له مباشرة، فهذا العلم علم حضوري؛ وإن كان انكشاف المعلوم لدى العالم عبر الصور، فهو علم حصولي، فالعلم الحضوري

ليس بحاجة إلى توسط شيء، بخلاف العلم الحصولي، فإنه بحاجة إلى توسّط الصور والمفاهيم العقلية والوهمية.

علم الله حضوري:

وعليه: فعلم الله - سبحانه وتعالى - ليس بتوسط الصور والمفاهيم[1]، وإنما بحضور ذوات الاشياء لديه - تعالى وتقدس - فجميع العوالم الإمكانية بقضها وقضيضها حاضرة لديه ومفتقرة إليه، فهي محض التعلق والارتباط والفناء والفقر، وهو القائم على كل شيء.

ألا ترى كيف أن الإنسان بمجرد غفلته أو انشغاله عن صورة الذهنية تنمحي تلك الصورة المنتقشة في صفحة الذهن؟ كذلك العوالم الإمكانية بالنسبة له - تعالى - لو انقطع فيضه لحظة واحدة لكان مصيرها العدم والفناء (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ)[2].

فعلمُه - تعالى - علمٌ إحاطيٌ قيوميٌ، المشار إليه بقوله - عليه السلام – "داخل في الأشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمزايلة، المسمى في ألسنة بعض الحكماء من أهل المعرفة "بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها".

علم أهل البيت من أي سنخ هو؟

فتوصيف أهل البيت - عليهم السلام - بأنهم "خزان علم الله" و"خزنة علمه" لا يتلاءم مع العلم الحصولي، و إنما له تمام المناسبة والملاءمة مع العلم الحضوري الإحاطي، إذ أن ذات اللفظة تتناول هذا العلم بصورة خاصة لكون العلم الحصولي - بحسب الدقة - ليس علماً؛ فلا

---

[1] - اذ الصور والمفاهيم لا تحقق لها إلا بتحققها وحصولها في الذهن، والذهن من مختصات النفوس المتعلقة بالمادة، والله منزّه عن المادة وآثارها.

[2] - النحل: ٦٠

يمكن أن يضاف ويوصف الباري به وذلك لاستلزامه التركّب في الذات المقدسة مما يؤدي للقول بأن معرفة الله لمخلوقاته تكون عن طريق الصور، وهذا أمر محال وممتنع.

مضافا إلى القرائن الخاصة الدالة على كون علم أهل البيت - عليهم السلام - ليس من سنخ العلم الحصولي فحسب، وإنما هو أعم من ذلك ومن العلم الحضوري الإحاطي، نذكر هذه القرائن مع التعليق عليها بشكل موجز ومقتضب:

القرينة الأولى: خزنة الله في الأرض والسماء:

ماورد من أنهم - عليهم السلام - خزنة الله في الارض والسماء، وهو تفسير لقوله - تعالى – (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)[1]، وكون الإمام كذلك معناه إحاطته بما في الارض والسماء، وهو عين العلم الإحاطي الحضوري، فهم - عليهم أفضل السلام - خزنته في الأرض وكذلك خزنته في السماء[2].

من هذه النصوص:

١- صحيحة أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تبارك وتعالى (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)[3]: "يعني علياً؛ أنه جعل علياً خازنه على ما في السماوات وما في الارض من شيء وائتمنه عليه، ألا إلى الله تصير الأمور"[4].

---

[1] - الحجر: ٢١

[2] - وكونهم - عليهم السلام - خزنته في السماء ليس بوجودهم المادي ونشأتهم الأرضية، وإنما بوجودهم النوري المقدس الذي هو نور الله عز وجل في السماوات والارض، وستأتي تتمة مفيدة ومختصرة فانتظر.

[3] - الشورى: ٥٣

[4] - بصائر الدرجات: ١٢٦ ج٢ * تفسير القمي: ٢٧٩/٢

٢- صحيحة علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): "إن الله عز وجل خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا خزانه في سمائه وأرضه، ولنا نطقت الشجرة، وبعبادتنا عُبِدَ الله - عز وجل - ولولانا ما عُبد الله"[١].

٣- صحيحة أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: "والله إنّا لخزان الله في سمائه وخزّانه في أرضه، لا على ذهب ولا على فضّة، وإنَّ منّا لحملة العرش يوم القيامة"[٢].

٤- صحيحة ذريح عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: "نحن لخزان الله في الأرض وخزانه في السماء، لسنا بخزّانه على ذهب ولا فضة، وإنّا منَّا لحملة عرشه يوم لقيامة"[٣].

/ 5 صحيحة خيثمة عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: "نحن خزان الله"[٤].

القرينة الثانية: الشهداء على الخلق:

ما تواترت به الروايات من كونهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) الشهداء يوم القيامة على أعمال العباد، والشهادة فرع الحضور، فشهادتهم كشهادة أعضاء الإنسان يوم القيامة (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ)[٥].

---

[١] - كتاب علي بن جعفر: ٣٢١ * الكافي: ١٩٣/١ ، بسندين: مصحح وصحيح * بصائر الدرجات: ١٢٥ بسندين عن علي بن جعفر

[٢] - بصائر الدرجات: ١٢٤

[٣] - بصائر الدرجات: ١٢٦

[٤] - بصائر الدرجات: ١٢٥

[٥] - فصلت: ٢٠

وبما أن الأعضاء واسطة لتحقق جميع ما يقوم به الإنسان، كذلك هم (عليهم السلام) الواسطة في الفيض لكل وجود وصفة وفعل في عالم الإمكان وفق قاعدة (الأمر بين الأمرين)[1].

ويؤيد، بل يدل على ذلك أن هذه الشهادة على نسق شهادة الله - تعالى - على مخلوقاته وهي شهادة قيّومية إحاطية إشرافية كما هو ظاهر قوله تعالى (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)[2]وقوله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)[3].

كما أن هذه الشهادة ليست مقصورة على أفعال الجوارح بل تشمل أيضا الشهادة على أفعال الجوانح، وهذا يتطلب الإحاطة التامة والإشراف الكامل على المشهود عليه، إذ العمل الظاهري الجوارحي منصبغ بصبغة الباطن وفعل النفس، فربما يوجد عمل نراه قبيحاً هو عند الله حسن، وربما صلاة وصيام وقيام بالليل وتصدق على المساكين نحسبها إخلاصاً لله (تعالى) وهي رياء ونفاق، فمن له هذا المنصب لا بد من إحاطته التامة بأفعال الجوارح والجوانح، وإلا لا يمكنه الأداء بالشهادة على وجهها الأتم.

نتبرك بذكر مجموعة من تلكم الروايات:

---

[1] - راجع كتابنا (وسائط الفيض الإلهي)، وكتابنا (حقيقة الأسماء الحسنى).

[2] - التوبة: ١٠٥؛ وقد أورد في البرهان في تفسير القرآن خمسة وثلاثين رواية ذكرت تطبيق الآية على أهل البيت (عليهم السلام)

[3] - البقرة: ١٤٣؛ أورد في البرهان أحد عشرة رواية في تطبيق الآية على أهل البيت (عليهم السلام)، أما الروايات الدالة على أنهم شهداء الله على خلقه فهي من المقطوع بتواترها اللفظي.

١- صحيحة أحمد بن عمر الحلال عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: سئل عن قول الله (عز وجل): (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ). قال: "إن أعمال العباد تعرض على رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) كل صباح، أبرارها وفجارها، فاحذروا"[١].

٢- مصححة أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): "إن أبا الخطاب كان يقول: إن رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) تعرض عليه أعمال أمته كل خميس. فقال أبو عبدالله (عليه السلام): ليس هكذا، ولكن رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) تعرض عليه أعمال هذه الأمة كل صباح، أبرارها وفجارها، فاحذروا! وهو قول الله (عز وجل): (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)، وسكت. قال أبو بصير: إنما عنى الأئمة (عليهم السلام)"[٢].

٣- صحيحة الميثمي، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ). قال: "هم الأئمة، تعرض عليهم أعمال العباد كل يوم الى يوم القيامة"[٣].

٤- صحيحة محمد بن مروان عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: "إذا أراد الله أن يخلق الإمام أنزل ... فإذا وقع على الأرض، رُفع له منار من نور يرى أعمال العباد"[٤]؛ وفي رواية أخرى عنه: "رُفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب"[٥].

---

[١] - بصائر الدرجات: ٤٤٤ ومثلها صحيحة محمد بن مسلم، وحسنة ابن الفضيل * الكافي: ٢٢٠/١ صحيحة الوشاء عن الرضا (عليه السلام).

[٢] - الكافي: ٢١٩/١ * معاني الأخبار: ٣٩٢ * بصائر الدرجات: ٤٤٤.

[٣] - بصائر الدرجات: ٤٤٧

[٤] - الكافي: ٣٨٧/١ * بصائر الدرجات: ٤٥١

[٥] - بصائر الدرجات: ٤٥٤

٥- موثقة إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): "الإمام يسمع الصوت في بطن أمه .... فإذا ترعرع؛ نصب له عموداً من نور من السماء إلى الأرض يرى به أعمال العباد"[١].

٦- صحيحة أبي حمزة قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): "إن الإمام منا ليسمع الكلام وهو في بطن أمه ... حتى إذا شبّ رفع الله له عموداً من نور يرى فيه الدنيا وما فيها، لا يستر عنه منها شيء"[٢].

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، وبعض الأحاديث ذكرت أن العرض يكون يومي الإثنين والخميس، وهي لا تنافي الروايات التي تقول أن العرض في كل يوم، بل لحظة بلحظة وساعة بساعة، إذ ذلك بيان لبعض مراتب العرض، والآيات ظاهرة في أن رؤيتهم لأعمال الخلق على نسق رؤية الله تعالى ورسوله (صلَّى الله عليه وآله)، وهي رؤية إحاطية بما يفعله العباد، ولو كان هناك ثمَّ واسطة بين الرسول والأئمة (عليهم السلام) وبين أعمال العباد، لكانت هذه الواسطة هي الشاهد يوم القيامة لا هم (عليهم السلام)، والعمود المذكور في جملة من الروايات ليس بشيء خارج عن ذواتهم (عليهم السلام) وستأتي الإشارة إليه، فانتظر!

القرينة الثالثة: مظاهر العلم الإلهي:

أنه قد ذُكر في القرآن الكريم عدة مظاهر للعلم الإلهي:

---

[١] - بصائر الدرجات: ٤٥١

[٢] - بصائر الدرجات: ٤٥١

المظهر الأول: «العرش»: كما في قوله -تعالى- (فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)[١]، وقوله (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)[٢]، وقوله (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ)[٣]، وقوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[٤].

وقد فسرت الأحاديث أن العرش الإلهي هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره، ففي صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)، فقال: "السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره"[٥].

وبما أن الكرسي والسماوات والأرض كلها في العرش -كما هو صريح الروايات- فالمحدق به والحامل له محيط بكلِّ شيء بإذن الله تعالى، وقد استفاضت الروايات أن حملة العرش هم أهل البيت (عليهم السلام) وهم المحدقون به، بل في النظر الدقي العرش ليس إلا طوراً من أطوارهم، وشاناً من شؤونهم، ومظهراً من مظاهرهم، ومرتبة من مراتبهم، وتنزلا من تنزلاتهم، وتجلياً من تجلياتهم، وفعلا من أفعالهم فافهم ولا تغفل!

ويدل على إحاطتهم وحملهم للعرش عدة من الروايات:

١- قولهم (عليهم السلام) في الزيارة الجامعة: "خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين"؛ والإحداق هو الإحاطة التامة بالشيء، وإحداقهم بالعرش ليس بوجودهم المادي بل بوجودهم النوري كما هو نص العبارة، وكما صرّح به العظماء الربانيون.

---

[١] - الأنبياء: ٢٢
[٢] - النمل: ٢٦
[٣] - غافر: ١٥
[٤] - طه: ٥
[٥] - التوحيد: ٣٢٧ باب ٥٢ حديث ٢

٢- صحيحة أبي حمزة عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: "حملة العرش -والعرش العلم- ثمانية: أربعة منّا وأربعة ممن شاء الله"[١]، وليس الحمل في عرض واحد وإنما هو طولي مشكك ذو درجات كالدوائر في بعضها البعض.

٣- حسنة سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "والذي بعثني بالحق بشيراً، ما استقر الكرسي والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والارض إلا بأن كتب الله عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين"[٢].

وبتعبير آخر: بالله ومحمد وعلي قامت السماوات والأرض وليس الكتابة كتابة تدوينية، بل هي كتابة تكوينية.

٤- صحيحة ذريح عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: "نحن لخزان الله في الأرض، وخزانه في السماء، لسنا بخزّانه على ذهب ولا فضة، وإن منا لحملة عرشه يوم القيامة"[٣].

قلت: وكونهم خزنة علم الله يقتضي أنهم حملة عرشه، إذ الخزينة الإلهية التي فيها أصل كل شيء هي العرش.

قال الصدوق: "وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين: فأما الأربعة من الأولين، فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام)، وأما الأربعة من الآخرين:

---

[١] - الكافي: ١٣٢/١

[٢] - المائة منقبة: ٧٢ منقبة ٢٤، اليقين لابن طاووس: ٢٣٩

[٣] - بصائر الدرجات: ١٢٦

فمحمد وعلي والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)، هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة (عليهم السلام)"[١].

المظهر الثاني: «الكرسي»: كما في قوله تعالى (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)[٢] والكرسي أيضاً مرتبة نازلة دون العرش، وإليه أشارت الروايات المتعددة.

فعن حفص بن غياث قال: "سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قوله الله عز وجل (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ). قال: علمه"[٣].

وعن المفضل بن عمر (رضي الله عنه)، قال: "سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن العرش، والكرسي ما هما؟ فقال: "في وجهٍ: هو جملة الخلق، والكرسي وعاؤه، وفي وجهٍ آخر: العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي: هو العلم الذي لم يُطلع الله عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام"[٤].

وهناك عدة روايات تقول أن السماوات والأرض وكل شيء في الكرسي فهو يسع كل شيء.

---

[١] - اعتقادات الصدوق: ٧٥

[٢] - البقرة: ٢٥٥

[٣] - التوحيد: ٣٢٧ باب ٥٢ حديث ١

[٤] - معاني الاخبار: ٢٩، فهو من العلم المخزون المكنون المشار إليه في عدة من الروايات، ومنه يكون البداء، وهو مقام "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك"؛ إذ مهما بلغ العبد من الكمال والجمال والتقدم الوجودي الشديد، فإن حقيقة الحقائق الحقيقية لا يمكن أن يحاط بها، فهي غيب مطلق، حتى بالنسبة لا شرف المخلوقات وسيد الكائنات والعبد المطلق الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، فمع أنه وصل الى قاب قوسين بل أدنى إحاطته بالذات المقدسة من المستحيلات والممتنعات، ونفي الإحاطة لا يعني نفي الإدراك الحضوري، إذ لا تلازم بين العلم الحضوري والإحاطي، فقد يكون العلم بالشيء حضورياً ولكنه ليس بإحاطي، نعم العلم الإحاطي -دائماً وابداً- حضوري.

المظهر الثالث: «الكتاب المبين»: كقوله تعالى (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[1]، وقوله: (وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[2]، وهذا الكتاب المبين الذي فيه كل شيء صغيراً وكبيراً مفسر بالإمام المعصوم (عليه السلام) كما سيأتي، وليست الكتابة كالكتابة المعروفة عندنا بل هي كتابة وجودية فهذا الكتاب محيط بكل شيء وفيه كل شيء -ذاتاً ووجوداً-.

المظهر الرابع: «الإمام المبين»: في قوله تعالى (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)[3] المفسر في الأحاديث بأنه الإمام المعصوم (عليه السلام) والمعصومون اثنا عشر إماماً من قريش من بني هاشم.

من هذه الأحاديث:

ما رواه: الصدوق بسنده عن أبي الجارود عن أبي جعفر عن أبيه عن جده (عليهم السلام)، قال: "لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "وكل شيء أحصيناه في إمام مبين"، قام أبو بكر وعمر من مجلسيهما، فقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟ قال: لا. قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا. قالا: فهو القرآن؟ قال: لا؛ فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): هو هذا، إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء"[4].

---

[1] - يونس: ٦١
[2] - الأنعام: ٥٩
[3] - يس: ١٢
[4] - معاني الأخبار: ٩٥

ومنها: ما رواه محمد بن العباس بسنده عن صالح بن سهل، قال: "سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقرأ: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)، قال: أمير المؤمنين (عليه السلام)"[1].

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن إبراهيم عن أبيه عن أبي الحسن الاول (عليه السلام) قال - في حديث-: إن الله سبحانه يقول (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى)[2]، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه تسيّر به الجبال وتقطع به البلدان وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون جعله الله لنا في أُم الكتاب. إن الله يقول: (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[3]، وقال: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا"[4]، فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء"[5].

ومنها: مارواه الكليني بسنده عن أبي بصير قال: "قلت: (هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ)[6]، قال: إن الكتاب لم ينطق ولن ينطق، ولكن رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) هو الناطق بالكتاب"[7].

---

[1] - (48 تأويل الآيات: ٤٧٧، ومحمد بن العباس المعروف بابن الحجام صاحب كتاب التفسير، قال فيه النجاشي: ثقة ثقة من أصحابنا عين سديد كثير الحديث.

[2] - الرعد: ٣١
[3] - النمل: ٧٥
[4] - فاطر: ٣٢
[5] - الكافي: ٢٢٦/١، وكون علم القرآن عندهم مما تواترت به الروايات عن طريق الخاصة والعامة، ويكفي في ذلك حديث الثقلين الدال على كونهم هم القرآن والقرآن هم والتفصيل في كتابنا (حديث الثقلين ومقامات أهل البيت عليهم السلام).
[6] - الجاثية: ٢٩
[7] - الكافي: ٥٠/٨ * تفسير القمي: ج٢٩٥/٢ بسند آخر * ورواه محمد بن العباس عن أبي بصير بسند ثالث، وفيه "ولكن محمد وأهل بيته (عليهم السلام) هم الناطقون بالكتاب".

ومنها: ما رواه القمي بسند صحيح عن سعدان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: "الكتابُ عليٌّ (عليه السلام) لاشك فيه (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[1]، قال: بيان لشيعتنا"[2].

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في حديث طويل، قال: "أما (حم) فهو محمد (صلّى الله عليه وآله)، وأما (الكتاب المبين) فهو أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وأما (الليلة) ففاطمة"[3].

هذا وقد استفاضت -بل تواترت- الأخبار عن طريق العامة والخاصة بأن علم الكتاب عندهم (عليهم السلام)؛ والعلم بالكتاب يستلزم الإحاطة الوجودية بكل ما فيه، كما تشير إليه بعض الاحاديث المتقدمة والآتية -إن شاء الله- في «القرينة الخامسة».

المظهر الخامس: «أم الكتاب»: كقوله: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[4]، وقوله (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)[5]؛ وورد عنهم (عليهم السلام) أنهم المثاني، والظاهر أن المثاني إشارة الى مرتبة أم الكتاب، وأم الكتاب هي المشار إليها بقوله تعالى (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)[6].

---

[1] - البقرة: ٢

[2] - تفسير القمي: ٣٠/١، وصححنا السند مع أن سعدان لم يوثق صراحة، لذكر الشيخ والنجاشي له في أصحابنا المصنفين مع عدم القدح فيه، وهو من أمارات الحسن، مع كثرة رواياته في الكتب الاربعة، واعتماد الصدوق عليه في الفقيه وجعل كتابه من الكتب المعتمدة التي عليها المعول وإليها المرجع والتي على وفقها يفتي ويحكم بصحته ويعتقد أنها الحجة بينه وبين الله تعالى، وهذه الشهادة بنظري القاصر أقوى من توثيقات النجاشي إن أكثر الرواية عنه، وذلك لأن الصدوق (قدس سره) من المتشددين في التثبت والتدقيق في صحة الروايات وخلوها من التدليس والإعراض عن الرواية عن الضعفاء، ولذا ذَكَرَ في حقه الشيخُ الطوسي (قدس سره) أنه كان بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه.

[3] - الكافي: ٤٧٩/١

[4] - الرعد: ٣٩

[5] - الزخرف: ٤

[6] - الحجر: ٢١

فهذه المظاهر المذكورة في القرآن الكريم للعلم الإلهي الأحاديث والروايات تنص على أنها متحدة مع المعصوم (عليه السلام) بل هي عينه طبقاً لمسألة اتحاد العاقل والعقل والمعقول التي حققها صدر المتألهين، والتي أشارت إليها الأحاديث وقد تقدم بعضها.

القرينة الرابعة: لا يحجب عنهم شيء:

ما جاء من روايات مستفيضة أنه لا يحجب عنهم علم السماوات والأرض والجنة والنار، وقد عقد لها صاحب (البحار) بابين أورد فيهما عدّة من الروايات.

منها: صحيحة عبد الأعلى وعبيدة بن بشير، قالا: "قال أبو عبدالله (عليه السلام) ابتداءً منه: والله إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة. ثم قال: أعلمه من كتاب الله؛ أنظر إليه هكذا، ثم بسط كفيه، ثم قال: إن الله يقول (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)[1]"[2].

ومنها: صحيحة المفضل عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: "قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أُعْطِيُت تسعاً لم يُعطها أحدٌ قبلي سوى النبي (صلَّى الله عليه وآله)؛ فُتِحتْ لي السبل، وعلمتُ المنايا والبلايا والإنسان وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي فما غاب عني ما كان قبلي ولا ما يأتي بعدي، وإنَّ بولايتي أكمل الله لهذه الامة دينهم"[3].

ومنها: رواية الحسن بن عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: "قال أمير المؤمنين (عليه السلام) على منبر الكوفة: والله إني لديان الناس يوم الدين، وقسيم الله بين الجنة والنار،

---

[1] - النحل: ٨٩

[2] - بصائر الدرجات: ١٤٧

[3] - الأمالي للشيخ: ٢٠٥ مجلس ٨ حديث ١، عن الشيخ المفيد بسنده الصحيح إلى المفضل.

....، ولقد أُعْطِيتُ السبع التي لم يسبق إليها أحد قبلي، بُصرت سبل الكتاب وفتحت لي الأسباب وعلمت الأنساب ومجرى الحساب وعلمت المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب، ونظرت في الملكوت فلم يعزب عني شيء غاب عني ولم يفتني ما سبقني ولم يشركني أحد فيما أشهدني يوم شهادة الأشهاد ، وأنا الشاهد عليهم وعلى يدي يتم موعد الله وتكمل كلمته وبي يكمل الدين، وأنا النعمة التي أنعمها الله على خلقه، وأنا الإسلام الذي ارتضاه لنفسه، كل ذلك مَنٌّ مِنَ الله"[1].

فالشهادة على الأعمال والنظر في الملكوت هو الإحاطة الوجودية بكل العوالم الإمكانية.

القرينة الخامسة: عندهم علم ما كان وما يكون:

ما ورد من أحاديث مستفيضة عنهم (عليهم السلام) ومضمونها واضح: من أن عندهم علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك كاشف عن إحاطتهم الوجودية بكل العوالم الإمكانية؛ اذ العلم بما يكون لحظة بلحظة يقتضي ذلك كما لا يخفى، من هذه الروايات:

١- صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل: "وإنَّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة،... وإنَّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر،... وإنَّ عندنا لمصحف فاطمة وما يدريهم ما مصحف فاطمة،... ثم سكت ساعة، ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. قال: قلت: جعلت فداك، هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك..."[2] الحديث.

---

[1] - الفضل بن شاذان عن صالح بن حمزة عن الحسن، ونقله عنه المحتضر وعنه البحار: ج١٥٤/٢٦ وفي البصائر: عن أحمد بن محمد عن ابن سلام عن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: أُعطِيتُ خِصالًا ما سبقني إليها أحد من قبلي: علمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله تعالى وأؤدي عنه كل ذلك مَنٌّ مِنَ الله مَكَّنَني فيه بعلمه.

[2] - الكافي: ٢٣٨/١ باب ذكر الصحيفة والجعفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام.

٢- صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: "سئل علي (عليه السلام) عن علم النبي (صلَّى الله عليه وآله)، فقال: علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم قال: والذي نفسي بيده، إني لأعلم علم النبي (صلَّى الله عليه وآله) وعلم ما كان وعلم ما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة"[١].

٣- حسنة سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله (عليه السلام) جماعة من الشيعة في الحجرة، فقال: "علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين. قال: وربّ الكعبة ورب البيت - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما ما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما هو كائن، وإن رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) أعطي علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فورثناه من رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وراثة"[٢].

٤- وفي مستفيضة عبد الأعلى وعبيدة بن بشير وعبد الله بن بشير، قالوا: قال (عليه السلام): "والله إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة. فرأى أن ذلك كَبُر على من سمعه، فقال: أعلمه من كتاب؛ أنظر إليه هكذا، ثم بسط كفيه، ثم قال إن الله يقول: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)[٣].

---

[١] - بصائر الدرجات: ١٤٧

[٢] - الكافي: ٢٦٠/١.

قال المجلسي: إن قيل: سؤاله (عليه السلام) أولًا: ينافي علمه بما كان وبما هو كائن!

قلت: إنهم ليسوا بمكلفين بالعمل بهذا العلم، فلا بد لهم من العمل بما توجبه التقية ظاهراً، مع أنه يمكن أن يحتاجوا في العلم على هذا الوجه الى مراجعة الكتب، أو توجه الى عالم القدس، أو سؤال من روح القدس في بعض الأحيان

[٣] - البصائر: ١٤٨ حديث: ٢، ٣، ٥، ٦

٥- وفي مستفيضة معاوية بن وهب في ثواب زوار الحسين (عليه السلام)، قال: استأذنت على أبي عبد الله (عليه السلام)، فأذن لي، فسمعته يقول في كلام له: "يامن خصّنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، وجعلنا ورثة الأنبياء (عليهم السلام)"[١].

إشكال ودفع:

إن قلتَ: إن الرسول الأكرم (صلَّى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) بمقتضى قوله تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)[٢](٦٩)، بشر مثلنا، مخلوقون من الطين والمادة، والمادة كما هو واضح لها حدٌّ وقدرٌ معين، والموجود المادي تغيب بعض أجزائه عن بعض - فضلا عن غياب غيره عنه - وعليه فكون علم الرسول والأئمة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) علم إحاطي من سنخ العلم الحضوري، يتنافى مع مقتضى بشريته وكونه مخلوقاً من طين وله حد وقدر معين، فلا يمكن أن يكون علمهم (عليهم السلام) لما يحدث في العوالم الإمكانية من سنخ العلم الحضوري.

قلتُ: لا خلاف في أن الموجود المادي يغيب بعضه عن بعض، فضلا عن غياب غيره عنه، ولكن حقيقة الإنسان ليست منحصرة بالمادة، بل المادة مرتبة من مراتب الإنسان، وهي أخس المراتب، بل هذه المادة من شؤون هذه النشأة فحقيقة الإنسان بما هي هي شيء وراء المادة.

---

[١] - الوسائل: أبواب المزار باب ٣٧ حديث ٧، عن الكافي والصدوق، ورواه ابن قولوية في جامع الزيارات: باب ٤٠، بعدة أسانيد.

[٢] - الكهف: ١١٠

وهذا الإشكال هو امتداد لإشكال المشركين المتصوّرين أن الإنسان ليس شياً وراء المادة، المشار إليه بقوله (تعالى): (وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ)[1]، فتصوروا أن فناء البدن فناء للإنسان، فكان الجواب: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ).

فحقيقة الإنسان في هذه النشأة لا تنحصر بالمادة، بل له مراتب مثالية وعقلية وقدسية وهو في نشأته هذه، والأدلة على ثبوت هذه المراتب كثيرة ومتعددة، وليس هناك من المسلمين من ينكر الروح وآثارها في الحياة الدنيا، إلا من أصابه لطخ المادة وأثّر عليه الماديون، لكن مشكلة الإنسان أنه غير ملتفت لتلك المراتب لا لعدم وجودها وتحققها، وإنما لغفلته عنها، ومنشأ الغفلة التثاقل للأرض، وتناسيه قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)[2](٧١) والانصباغ بالماديات ونسيان الملكوت الأعلى.

وهذا الإشكال أجابت عنه الروايات الكثيرة المستفيضة، من أن إحاطة المعصوم (عليه السلام) بكل العوالم الإمكانية لاطلاعه على ملكوت السماوات والأرض وتأييده بروح القدس المشار إليه بقوله تعالى: (يُوحَى إِلَيَّ) في ذيل (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)[3]، فهو بشر مثلنا لكن يوحى إليه، أي متصل بالسماء وبالملكوت الأعلى.

وقبل ذكر هذه الروايات وبيان كيفية إجابتها عن هذا الإشكال نشير بشكل مختصر إلى مصطلح (الملكوت) وما يعني.

حقيقة الملكوت:

---

[1] - السجدة: ١٠

[2] - التين: ٤-٥

[3] - ومن أجل معرفة هذه المثلية وحقيقتها وموضع افتراق الرسول صلى الله عليه واله عن بقية بني البشر راجع ما ألقيناه تحت عنوان (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ).

أثبت القرآن الكريم أن لكل شيء ملكوت من قوله: (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[1]، وقوله: (قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[2]، ومن قوله: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)[3]، والسماوات والأرض كناية عن جميع ما خلق الله (عز وجل)، فلكل شيء ملكوت وهو المرتبة الباطنة من كل شيء. فلكل شيء ظاهر وباطن، فالسماوات والأرض لها ظاهر وهو ما نراه ونستشعره، ويسمى في القران بالملك، ولها باطن وهو الملكوت، فالملك والملكوت وجهان لعملة واحدة، فظاهر الحياة الدنيا هو الملك وباطن الحياة الدنيا هو الملكوت، وإليهما أشار (تعالى): (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[4].

ورؤية عالم الملك وظاهر الحياة الدنيا بالحواس الظاهرة، أما رؤية عالم الملكوت وباطن الحياة الدنيا فبواسطة الرؤية القلبية والحواس الباطنة.

لذا قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) كما في رواية الزهري عنه في حديث طويل: "ألا إن للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته؛ فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه، فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه"[5].

---

[1] - يس: ٨٣
[2] - المؤمنون: ٨٨
[3] - الأنعام: ٧٥
[4] - الروم: ٧
[5] - الخصال: ٢٤٠ باب الأربعة حديث ٩٠، وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة النظر في الملكوت عبر توظيف هذه القوى فقال: (أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)

واليقين هو الموصل للإنسان إلى هذه المرتبة كما هو ظاهر قوله تعالى (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)[1].

ففي الحديث الصحيح المأثور أن الرسول الأكرم (صلَّى الله عليه وآله) صلَّى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله (صلَّى الله عليه وآله): "كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحتُ يا رسول الله موقناً. فعجب رسولُ الله (صلَّى الله عليه وآله) من قوله؛ وقال: إن لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟ فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني، وأسهر ليلي، وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأني أنظر الى عرش ربي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك - وأنا فيهم - وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون، وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر الى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي"[2].

قلتُ: وهذا الشاب هو الحارث بن مالك النعماني الأنصاري كما صرحت بذلك معتبرة أبي بصير، وهو مصداق لقوله تعالى: (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)[3]، فعلم اليقين موّرث لرؤية الجحيم في الدنيا قبل الآخرة.

وهذه الرؤية لا تكون إلا بالحواس الباطنة، وبتعبير الروايات "الرؤية القلبية" المشار إليها في قوله تعالى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى

---

[1] - الأنعام: ٧٥
[2] - الكافي: ج٢/٥٤، بطريقين معتبرين.
[3] - التكاثر:٥-٨

مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)[1] وفي قوله (عليه السلام) حين سأله سائل: "هل رأيت ربك؟! فقال (عليه السلام): أفأعبد ربّاً لم أره؟! فقال: وكيف تراه؟ فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان".

فما أعظم نعمة اليقين، فهو -كما في الأحاديث المستفيضة- فوق التقوى، والتقوى فوق الإيمان، والإيمان فوق الإسلام بدرجة، وما قسم بين العباد شيء أقل من اليقين، ومنه يصل الإنسان إلى مرتبة (كن فيكون) ويكون هادياً للبشرية، وإليه أشار تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)[2]، وأمره تعالى قوله: (كُن فَيَكُونُ)[3]، ومنه تعرف معنى قولهم (عليهم السلام): "نحن ولاة أمر الله"[4].

فالخلاصة: إن الملكوت -وهو المبالغة في الملك- باطن الحياة الدنيا محيطٌ بها فما من شيء ظاهري إلا وله ملكوت وباطن، ورؤيته بحاجة الى قوى باطنية تنشأ من اليقين.

ومَنْ يصل إلى مرتبة النظر في الملكوت يقول للشيء "كن" فيكون، وهو ظاهر قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[5]، فالآية أثبتت أن من بيده ملكوت كل شيء يقول للشيء "كُنْ" فيكون.

الرجوع الى أصل المطلب:

---

[1] - النجم: ١١ إلى ١٨
[2] - السجدة: ٢٤
[3] - البقرة: ١١٧
[4] - راجع دروس من الزيارة الجامعة فقرة "ولاة أمر الله"
[5] - يس: ٨٣-٨٤

فليس النظر إلى الملكوت والإحاطة العلمية بآلات وقوى مادية حتى يتأتى الإشكال من أن المادة محدودة ويغيب بعضها عن بعض فلا إحاطة ولا محاط، والجواب على هذا الإشكال كما قلنا موجود في كلماتهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، فهم خزّان علم الله في السماء وخزّان علم الله في الأرض كما هو صريح معتبرة كليب المتقدمة، فإذا كان الحارث وهو ليس بمعصوم وغير مؤيد بروح القدس يرى تنعم أهل الجنة وعذاب أهل النار وهو في دنياه هذه فكيف بمن له نحو اتحاد مع روح القدس وكُشف له الملكوت الأعلى؟!

ومن أجل المزيد من الفائدة، نذكر مجموعة من الروايات التي تجيب على هذا التساؤل بشكل واضح.

من هذه الروايات:

أولا: عمود النور:

١- معتبرة الثمالي، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): "إن الإمام منّا ليسمع الكلام في بطن أمه حتى إذا سقط على الأرض أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[١]؛ حتى إذا شبّ رفع الله له عموداً من نور يرى فيه الدنيا وما فيها لا يستر عنه منها شيء"[٢].

٢- صحيحة محمد بن عبيدة، قال: "كنت أنا وابن فضال جلوساً اذ أقبل يونس -بن عبد الرحمن-، فقال: دخلت على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فقلت له: جعلت فداك، قد أكثر الناس في العمود، قال: فقال لي: يا يونس، ما تراه، أتراه عموداً من حديد يرفع

---

[١] - الأنعام: ١١٥

[٢] - بصائر الدرجات: ٤٥١

لصاحبك؟ قال: قلت: لا أدري. قال: لكنه ملك موكّل بكل بلدة يرفع الله به أعمال تلك البلدة. قال: فقام ابن فضال فقبّل رأسه وقال: رحمك الله يا أبا محمد، لاتزال تجيء بالحديث الحق الذي يفرج الله به عنا"[1].

وأحاديث العمود كثيرة ومتعددة ومستفيضة، بل متواترة إجمالا، عقد لها الكليني والصفار والمجلسي (رحمهم الله) بابا خاصا، وذكروا فيه عدة من الروايات الصحيحة سنداً، أما شهادة الأعمال فالقرآن والأحاديث المتواترة تثبته وقد تقدم ذكر بعضها.

ثانياً: الاطلاع على الملكوت:

١- ففي صحيحة المفضل عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "أُعطِيتُ تسعا لم يعطها أحد قبلي سوى النبي (صلَّى الله عليه وآله)، لقد فتحت لي السبل وعلمتُ المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، ولقد نظرتُ في الملكوت بإذن ربي فما غاب عني ما كان قبلي ولا ما يأتي بعدي"[2].

٢- وفي صحيحة هشام عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)[3]، قال: "كشط له عن الارض ومن عليها وعن السماء وما فيها والملك الذي يحملها والعرش ومن عليه، وفعل ذلك برسول الله (صلَّى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)"[4].

---

[1] - الكافي: ج١/٣٨٨

[2] - الأمالي للشيخ: ٣٠٥ مجلس ٨ حديث ١، عن الشيخ المفيد بسنده الصحيح إلى المفضل.

[3] - الأنعام: ٧٥

[4] - تفسير القمي: ١٩٣

٣- وفي الحسن إلى أبي داود السبيعي، عن بريدة الأسلمي، عن رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، قال: يا علي، إن الله أشهدك معي سبع مواطن.. حتى ذكر الموطن الثاني، أتاني جبرئيل فأسرى بي إلى السماء، فقال: أين أخوك؟ فقلت: ودعته خلفي. فقال: فادع الله يأتيك به، قال: فدعوت، فإذا أنت معي، فكشط لي عن السماوات السبع والأرضين السبع حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها، فلم أر من ذلك شيئا إلا وقد رأيتَه كما رأيتُه"[١].

٤- وفي صحيحة عبد الله بن مسكان، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): "(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)، قال: كشط لإبراهيم السماوات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمد (صلَّى الله عليه وآله) مثل ذلك وإني لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك"[٢].

وغيرها من روايات وقد روى الشيخ الجليل الصفار أحد عشرة رواية في ذلك، فراجع.

ثالثاً: التأييد بروح القدس:

١- صحيحة ابن مسكان عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)[٣]. قال: "خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت"[٤].

---

[١] - بصائر الدرجات: ١٢٧

[٢] - المصدر السابق: حديث ٢

[٣] - الإسراء: ٨٥

[٤] - الكافي: ج١/٢٧٣، عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن ابن مسكان، ومثلها صحيحة أبي أيوب الخزار عن أبي بصير.

٢- صحيحة أبي الصباح الكناني عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تبارك وتعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ)[١]، قال: "خَلقٌ من خَلقِ الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده"[٢].

٣- حسنة أسباط بن سالم، قال: سأله رجل من أهل هيت -وأنا حاضر- عن قول الله عز وجل: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا)، فقال: "منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد (صلَّى الله عليه وآله) ما صعد إلى السماء، وإنه لفينا"[٣].

٤- وعن جابر، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): "إن الله خلق الأنبياء والأئمة على خمسة أرواح، روح القوة، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح الشهوة، وروح القدس. فروح القدس من الله وساير هذه الأرواح يصيبها الحدثان، فروح القدس لا يلهو ولا يتغير ولا يلعب، وبروح القدس علموا. يا جابر، ما دُونَ العرش إلى ما تحت الثرى"[٤].

٥- وفي صحيحة أخرى له، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) في حديث: "وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس، فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان، فبه خافوا الله عز وجل، وأيدهم بروح القوة، فبه قدروا على طاعة الله، وأيدهم

---

[١] - الشورى: ٥٢

[٢] - الكافي: ج١/٢٧٣، عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحي الحلبي، عن أبي الصباح. والسند في غاية الاعتبار والوثاقة * بصائر الدرجات: ٤٧٥ عن منصور بن يونس، عن أبي بصير.

[٣] - الكافي: ج١/٢٧٣

[٤] - البصائر: ٤٥٤

بروح الشهوة، فبه اشتهوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون"[1].

والأحاديث في تأييدهم بروح القدس وأن الله (سبحانه وتعالى) أيدهم بخمسة أرواح مما يقطع بتواترها عنهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، فراجع.

معنى التأييد:

وليس معنى التأييد أن الله (سبحانه وتعالى) يجعل هذه الروح تصاحب المعصوم وتمنعه من الخطأ والزلل، وإنما هذه الروح مرتبة من حقيقة المعصوم وقوة ممنوحة له -كبقية الأرواح المشار إليها في صحيحة جابر وغيرها- فروح القوة وروح الشهوة وروح المدرج وروح الإيمان وكذا روح القدس ليست أشياء غير واقعية المعصوم، وإنما هي قوى وكمالات وجودية يُؤيد بها المعصوم (عليه السلام).

ولذا قال الإمام الرضا (عليه السلام): "إن الله عز وجل قد أيدنا بروح منه مقدسة مطهرة، ليست بملك، ولم تكن مع أحد ممن مضى، إلا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهي مع الأئمة منّا تسددهم وتوفقهم وهو عمود نور بيننا وبين الله عز وجل"[2].

فعمود النور ورؤية الملكوت والتأييد بروح القدس وسائل لا ربط لها بمرتبة الإنسان المادية، وإنما مرتبطة بروح الإنسان وحقيقته؛ فصحيح أن المعصوم بشر مثلنا مخلوق من طين، لكنه زُوّد بما لم نزود به نحن، والمجال مفتوح لأن يطلع الإنسان على ملكوت السماوات والأرض ويكون كذلك الأنصاري الذي يشاهد تنعم أهل الجنة وعذاب أهل النار، بل هناك دعوة صريحة

---

[1] - الكافي: ج١/٢٧١

[2] - عيون أخبار الرضا: ج٢/٢٠٠

من الله (سبحانه وتعالى) لذلك: (أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ)[1]، جعلنا الله من المطلعين على ملكوت السماوات والأرض بمحمد وآله الطاهرين.

قال المولى المجلسي (قدس سره): "قد تظافرت الأخبار بكون نبينا (صلَّى الله عليه وآله) وأئمتنا (عليهم السلام) عالمين بجميع العلوم، وأن عندهم علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأن كل ما علم النبي (صلَّى الله عليه وآله) علمه علياً، وكذا كل إمام علم الإمام الذي بعده كل ما علمه"[2].

وقال علم الهدى السيد المرتضى (قدس سره) حينما سُئل عن صاحب الزمان (عليه السلام)، هل يشاهدنا أم لا؟ فأجاب بأنه: "مشاهد لنا ومحيط بنا وغير خاف عليه شيء من أحوالنا"[3].

والأحاديث في إحاطة المعصوم (عليه السلام) بما في الأرض والسماء كثيرة جداً، وعلى عدة طوائف، مروية في الكتب المعتبرة بأسانيد صحيحة وحسنة ومعتبرة وموثقة ومقبولة، ولو لا خوف التطويل لذكرنا قبسا من تلك الطوائف، وما ذكرناه كافٍ للمتأمل المحتمل.

وللبحث تتمة مفيدة تجدها في ما ذكرناه تحت عنوان (وارتضاكم لغيبه). فراجع.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين.

---

[1] - الأعراف: ١٨٥

[2] - الأربعين للمجلسي: حديث ٣٧ في ذيله.

[3] - رسائل الشريف المرتضى: ج١/ ٢٨٠ مسألة ١٧.